

## الشيخ محمد المنصوري الغسيري المرّبي المعلم والمرشد المناضل (1912 - 1974م).



د. عبد النور أيت بعزّيز  
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر جامعة علي  
لونيسي (البليدة 2)، الجزائر.

### الملخص

تعتبر هذه الدراسة محاولة جادة لعرض مسار حياة وأعمال شخصية الشيخ محمد المنصوري الغسيري الذي قضى عمره في سبيل نشر العلم وتربية الأجيال وإصلاح المجتمع، ومواجهة سياسة المسخ والإدماج والتغريب التي مارستها فرنسا الاستعمارية ضد أبناء الجزائر في المجال الفكري والثقافي والعقائدي، إذ كان رائدا من رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفارسا من فرسان معلّمها ومفتشيها في مدارسها الحرة، التي كان ينشر فيها قواعد الإصلاح وأسس العلم الصحيح، و مبادئ اللغة والدين والأخلاق والقيم النبيلة وشروط النهضة والإحياء، جنبا إلى جنب مع زملائه ومعلّميه وأساتذته من المخلصين والعاملين المجتهدين.

فضلا عن نشاطه الإرشادي في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية، وانطباعاته وآرائه ومشاهداته خلال رحلته إلى المشرق العربي، ولقائه مع كبار الشخصيات العربية والإسلامية، في مصر والحجاز والشام...

### Summary

This study is a serious attempt to present the life and work of the personality of Sheikh Mohammed Al Mansouri Al-Ghasiri, who spent his life in spreading science, educating the generations and reforming the society, and confronting the policy of racism, integration and alienation practiced by colonial France, against the people of Algeria in the intellectual, cultural and ideological fields. Algerian Muslim scholars and knights of their teachers and inspectors in their free schools, in which the rules of reform and the foundations of correct science, the principles of language, religion, morals, noble values and the conditions of revival and revival were published along with his colleagues, teachers and professors Dedicated and diligent workers.

As well as his activities in the ranks of the Algerian Islamic Scouts, his impressions, views and observations during his trip to the Levant, and his meetings with Arab and Islamic dignitaries, in Egypt, Hijaz and Sham ...

## مقدمة:

خير الدين، و بلقاسم بن عمار الغسيري، والشيخ عمر بن البسكري العقبي، والشيخ محمد الطرابلسي القراري الميزابي، و كان محمد بن خير الدين يلقي دروس الوعظ والإرشاد في فناء المدرسة، ويعد هذا العمل امتدادا لما كان يقوم به الشيخ الطيب العقبي قبل انتقاله إلى العاصمة<sup>(2)</sup>. وفي أكتوبر سنة 1932 انتقل إلى قسنطينة أين درس أربع سنوات على يد العلامة عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر وملحقاته.<sup>(3)</sup>

## ثانيا - نشاطه في مجال التربية و

### التعليم

#### أ- في قسنطينة :

كان الشيخ ابن باديس يشرف بنفسه على التعليم في مدرسة التربية و التعليم(\*) إلى جانب الشيخ الشريف الصائغي خريج جامع الزيتونة، إلا أن انشغاله بأمور تسيير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتحرير الصحف، والقيام بالجلولات التفقدية من جهة، و ازدياد عدد طلبة المدرسة من جهة أخرى، جعله يفكر في إشراك أنجب تلامذته لمساعدته في مهمة التدريس في المدرسة، فاختار منهم سنة 1934 الشيخ الفضيل الورتلاني وعبد العلي الأخضر، و محمد العابد الجلاي، و بلقاسم الزغداني.<sup>(4)</sup>

وفي سنة 1937 عُيِّن الغسيري معلِّمًا في هذه المدرسة إلى جانب كل من محمد الصالح رمضان و الصادق أيت عبد الوهاب والطيب عبان، وكان للمدرسة المذكورة وجمعيتها مجلسان، مجلس للشيوخ يرأسه عبد الحميد بن باديس، ومجلس للشباب يرأسه أحمد بوشمال، وخص ابن باديس العمال بموعظة أسبوعية واجتماع يعقده معهم لا يحضره إلا المشتركون، وإذا تعيَّب ابن باديس يلقي الحديث على العمال أحد تلامذته الموثوق بهم عقيدة وعاطفة وكفاءة مثل الغسيري والصادق حماني.<sup>(5)</sup>

عندما كنت أجمع المادة الوثائقية المتعلقة بأطروحة الدكتوراه في التاريخ حول حياة وآثار الشيخ الفضيل الورتلاني (1906-1959) لفت انتباهي اسم الشيخ محمد المنصوري الغسيري، باعتباره رفيق و زميل الورتلاني في مجال التربية و التعليم ، و الإصلاح و الوعظ و الإرشاد في الجزائر، ثم في القاهرة إثر زيارته لها سنة 1953 ضمن وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية ، ثم في دمشق...

ولما كانت الدراسات والكتابات التي تعرّف بهذه الشخصية الفذة قليلة جدا، أردنا أن نساهم في التعريف بها، لعلنا نرفع جزءا من ستار النسيان الذي طال هذا الرجل الفاضل، الذي كرّس حياته كلها خدمة لبلده الجزائر، ولم تنصفه الدوائر الرسمية في الجزائر بعد الاستقلال ...

و من هنا بلورنا إشكالية الموضوع في محاولة إبراز الدور الحقيقي الذي لعبه الشيخ الغسيري، كشخصية أوراسية و جزائرية على الساحتين الوطنية و العربية، في مجالات: التربية و التعليم، الوعظ و الإرشاد، النشاط الكشفي، أدب الرحلات، السفارة الحرة، وهل حظي باهتمام الدارسين و الباحثين و أصحاب القرار في هذه البلاد أم لا ؟ وكيف السبيل إلى إعادة الاعتبار للغسيري ولأمثاله من رموز الجزائر؟

## أولا: نشأته وتعلّمه

هو محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري، ولد سنة 1912 (1)، بدشرة أولاد منصور، عرش غسيرة، دائرة أريس، ولاية باتنة، حفظ القرآن بزاوية أولاد ميمون، و التي قصدتها سنة 1927، ثم اتجه إلى مدينة بسكرة من أجل العلاج، و أقام فيها حيث درس في مدرسة الإخاء للتربية و التعليم التي تأسست سنة 1350 هـ (1931م) برئاسة الشيخ الحاج الحفناوي دبابش، وتتلّمذ فيها على يد محمد بن

السادة: محمد الغسيري، محمد الصالح بن عتيق، الصالح خريف الصحراوي، إسماعيل جوامع، السعيد علال، السعيد بوذراع، عبد العزيز قروف، حسين كحلوش، زيدان حمروش، محمود بورزامة، الصغير قارة، الطيب الثعالبي، حسين الأعور، علي طيار، محمد لعربي، سليمة صالح.

وقد احتضنت مدرسة الإرشاد اجتماع لجنة دراسة مشاكل المدرسة التي عينتها لجنة التعليم العليا لمدارس جمعية العلماء ما بين 5 و 11 سبتمبر 1953 وضمت اللجنة في عضويتها السادة: محمد الغسيري، الحفناوي هالي، إبراهيم مزهودي، بوعلام باقي، محمد الحسن فضلاء، السنوسي دلالي، الحسين كوايمية، علي المغربي، الصادق حماني، محمد الصالح رمضان، أحمد بوشمال، أبو بكر الأغواطي، عبد الوهاب بن منصور، أحمد حماني، عبد الرحمن شيبان. ودرست اللجنة المواضيع التالية:

- المعلم : ثقافته، فنياته، شخصيته.

- المتعلم : الملازم، غير الملازم، نفسيتهما، وضعيتهما في المدرسة وخارجها، و المقارنة بينهما، أصلح الطرق لرفع مستواهما.

- المادة :

أ- المنهاج : مستواه، فنونه، توزيع حصصه، شرح مواد، كتبه المقررة.

ب- طريقة التدريس: كيف تدرس مادة لسانية، وكيف تدرس مادة رياضية ؟

- الفصل : تأثيثه، وسائل الإيضاح (خرائط، صور، سنماء، مكتبة، أدوات كيل ووزن ومساحة)، صندوق الإسعاف، الجمع بين الجنسين.

- المؤثرات الخارجية و الداخلية على سير التعليم: إرهاق المعلم بكثرة ساعات العمل، اكتظاظ الفصل بالتلاميذ، الامتحانات، المراسلة المدرسية،

وتزامنا مع نشاطه التربوي التعليمي ضمن جمعية ومدرسة التربية والتعليم، انضم الغسيري إلى صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية فوج الرجاء، المنبثق عن شباب التربية و التعليم الذي ساهم في ملئ الفراغ وتنمية وتربية النشء على الفضائل كالشجاعة والتعاون والتفكير والاعتماد على النفس. وقد استقلت هذه المدرسة الكشفية بكيانها وجمعيتها وقادتها ومرشديها، وتكوّنت منها فرق الأشبال والحوالة و المرشادات، وقد أتحفها الشاعر الأستاذ محمد العيد آل خليفة بنشيد رسمي نورد منه هذه المقتطفات:

فأنت كشافة الرجاء

وأنت جواة البلاد

نطوف في أرضها الزكية

ونحن جند لها أمين

ومن يكن عزمه شديدا

لا بد أن يبلغ المراد<sup>(6)</sup>

وللإشارة فإن الغسيري درّس في صائفة سنة 1937 بمدرسة التربية و التعليم الإسلامية فرع باتنة إلى غاية 10 أكتوبر 1937 حيث خلفه الأستاذ محمد الحسن فضلاء.<sup>(7)</sup>

ب- في سكيكدة :

انتقل الغسيري من قسنطينة إلى مدرسة الإرشاد بسكيكدة و التي تأسست سنة 1937 على شكل جمعية يرأسها المصلح السيد الصالح بولنمور، ومؤلها ماليا السيد محمد بن أحمد بنجي من ماله الخاص، و أمين ماليتها السيد بلقاسم عبادة، وقد تخرّج منها عدد كبير من المعلمين والمعلمات، ودرّس فيها

أيام من 5 إلى 7 شوال 1365 هـ، (1 إلى 3 سبتمبر 1946م) بحضور معلمي العمالات الثلاث، لبحث مشاكل التعليم العربي المتعلقة بأساليبه وبرامجه، والتفكير في الطريقة التي تجعله مساهرا لنهضة الأمة وروح العصر.

إضافة إلى مشكلة المدارس العربية الحرة المغلقة في عمالة قسنطينة، و القرارات الصادرة في شأن التعليم العربي الحر المناهضة له و المعرقة لسيره، و خصّصت جلساته الأخيرة للاقتراحات. وقد حضر محمد الغسيري هذا المؤتمر إلى جانب سعيد صالحى، اليعلاوي، العربي التبسي، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد الحسن فضلاء، وهي الأسماء التي ذكرها محمد الحسن فضلاء تعقيا على الصورة التي نشرها في كتابه وظهر فيها أكثر من مائة مشارك.

### هـ - عضويته في لجنة التعليم العليا:

عقب انعقاد الاجتماع السنوي للمجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قسنطينة يوم 13 سبتمبر 1948، تقرّر تشكيل لجنة التعليم العليا ومهمتها وضع البرامج و اللوائح و المراقبة و التفتيش، و المراسلة و التعيين و النقل، على أن تراجع الجمعية في أهم المسائل، وتألّفت اللجنة من عضوين إداريين في مكتب الجمعية وهما: العباس بن الشيخ الحسين وعبد القادر الياجوري، ومن أحد عشر عضوا من المعلمين وهم: إسماعيل العربي، محمد الغسيري، أبو بكر الأغواطي، محمد الصالح رمضان، أحمد رضا حوحو، الصادق حماني، أحمد بن ذياب، الجليلي الفارسي، محمد بابا أحمد.

وانبثق عن اللجنة المذكورة المكتب الدائم الذي اتخذ من مقر الجمعية بالعاصمة (نادي الترقّي) مقرا له، وضم الأساتذة: إسماعيل العربي رئيسا، محمد الغسيري وأبو بكر الأغواطي كعضوين. يتولى هذا المكتب الدائم إجراء كل الاتصالات مع جميع

المجلات و النشرات المدرسية، البيئة، المكتب الفرنسي، المؤتمرات، المخيمات، المصاريف المدرسية، التزاور المدرسي، الرياضة داخل المدرسة وخارجها، المرتب، وضعية المعلمات، صندوق المعلمين، مالية المدارس، علاقة الجمعيات المحلية بالمدرسة.

واتخذت اللجنة قرارات مهمة درست في جلسات خاصة، ونوقشت في جلسات عامة، وكتب محمد الحسن فضلاء تقريرا مفصلا في حوالي 30 صفحة ضمّنه النقاط المذكورة مبديا رأيه فيها.<sup>(8)</sup>

### ج - في شلغوم العيد : (شاطودان سابقا)

نظرا لقرب هذه البلدة أو المدينة من مدينة قسنطينة مقر الإمام عبد الحميد بن باديس، فقد تأثرت بحركته العلمية و الإصلاحية، خاصة وأنه كان يتردّد عليها من حين إلى آخر، فكان من ثمار ذلك أن تأسست فيها مدرسة التهذيب سنة 1945، و من بين المعلمين المديرين الذين تعاقبوا عليها نذكر السادة: محمد الغسيري، أحمد رضا حوحو، عمر شكيري، الصغير قارة، أحمد بن ذياب، إسماعيل حيرش.

ومن معلميها ومعلماتها أيضا نذكر السادة و السيدات: الحسين بن المليبي، محمد الشريف بوعكاز، علي المنصوري، عبد العزيز بوزوزو، مسعود صالحى، محمود حمروش، عمار مطاطلة، محمد بوكعباش، الطيب الثعالي، محمد مفتاح، نعناعة شكيري، العذراء حاج سعيد، مالكة بن عامر.<sup>(9)</sup>

د - مشاركته في المؤتمر العام للمعلمين الجزائريين الأحرار:

انعقد هذا المؤتمر الثاني من نوعه - بعد المؤتمر الأول سنة 1937- تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في مقرها بالعاصمة لمدة ثلاثة

و العمل في الحياة، وجمع بينهما الوفاء حين استأثر الموت بأحدهما مثلما رأينا إمامي النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي...»

ثم ذكر أحد خصال الإبراهيمي المتمثلة في نكران الذات فقال: «من أعلى ما امتاز به أستاذنا الجليل، ورئيسنا الكبير، محمد البشير الإبراهيمي من شرف الخلال نكران الذات، فهو لا يزال يعمل الأعمال التي تعجز عنها الجماعات وتنوء بها العصب، وهو مع ذلك لا ينسب إلا لإخوانه ورفقائه الأموات والأحياء...».

لينتقل بعد ذلك إلى إبراز فضل الإبراهيمي عليه وعلى إخوانه المرشدين والمرشدين فيقول: «ونحن -أبناءؤه- نشهد، و إخوانه يشهدون أنه لولا علمه ولسانه وصبره، وتأثيره الذي يشبه السحر، لما كانت جمعية العلماء، ولولا براعته في التصريف والتسيير لما سار لجمعية العلماء شرع في هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن».

وقد رغب الغسيري أن يأذن له الإبراهيمي بنشر تلك المقامة و أُلح عليه حتى أذن له، فبيّن الغرض من إلحاحه فقال: «وحلّت في الأخير رغبتنا منه محل القبول، حرصا على هذه المقامة أن تضيع إن لم تسجل، وكم من نفائس مثل هذه المقامة وكم من رسائل، وكم من تحف فنية من أدب الهزل و النكتة، وكم من ملاحم شعرية بلغت الآلاف من الأبيات مازالت مطمورة في أوراق الأستاذ وفي حافظته العجيبة و إذا لم يحرص أمثالنا من تلامذة الأستاذ على استخراجها ضاعت وخسر الأدب والعلم خسارة لا تعوّض...<sup>13</sup>.»

كما أشرف الغسيري على أول امتحان للشهادة الابتدائية نظّمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال العام الدراسي 1951/1950 كرئيس للجنة الامتحان بمركز قسنطينة، و الذي شارك فيه 117

المدارس و الجمعيات، والمديرين والمعلمين، ونشر البلاغات الخاصة بالتعليم، وتجتمع اللجنة العليا كاملة، مرتين في السنة بمركزها قبيل افتتاح السنة الدراسية، وبعد انتهاء الامتحانات السنوية. هذا وقد عُيّن محمد الغسيري كأول مفتش عام من قبل اللجنة العليا وبعده إبراهيم مزهودي، بينما عُيّن كمفتشين جهويين كل من الأساتذة: الصادق حماني، محمد الصالح رمضان، علي مرحوم، محمد بابا أحمد.<sup>(10)</sup>

كما ساهم الغسيري بفكره ورأيه من خلال تنشيطه للمحاضرات والندوات والخطب الوعظية و الإرشادية، وكتابة بعض المقالات في الصحف، نظرا لاهتمامه بتكوين الأجيال أكثر من تأليف الكتب مثله في ذلك مثل أساتذته، وأغلبية أترابه وأقرانه من طلبة الإمام عبد الحميد بن باديس، الذي تأثر وتعلق به كثيرا لدرجة أنه تكفل بمهمة تغسيل الإمام عندما توفي يوم الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ الموافق لل16 أبريل 1940 م رفقة شخص آخر حسب شهادة الشيخ محمد الصالح رمضان، بينما كَفّنه محمد الإبراهيمي قريب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمعية محمد الصالح رمضان، وصلى عليه الشيخ مبارك الملي، و ابّنه الشيخ العربي التبسي رحم الله الجميع.<sup>(11)</sup>

ومن جهة أخرى ترك محمد الغسيري مذكرات خاصة مع أستاذه ابن باديس لا تزال مخطوطة بعنوان «ابن باديس كما عرفته» كما ساهم أيضا في تغطية المناهج الدراسية لمدارس جمعية العلماء المسلمين، من خلال كتابه الموسوم بعنوان «خلاصة الدروس الفقهية»، وله رسائل إخوانية كان يتبادلها مع إخوانه وزملائه.<sup>(12)</sup> وقد نشر أحد الكتاب مقدمة كتبها الغسيري لمقامة الشيخ البشير الإبراهيمي، التي بعث بها من منفاه بأفلو تأثرا بفاجعة وفاة العلامة بن باديس وعدم حضوره جنازته نقتطف منها مايلي: «...وما رأينا في حياتنا رفيقين جمع بينهما العلم

وأن جمعية العلماء و الكشافة الإسلامية، اعتمدت بهذا الجانب فأسمعت صوت الجزائر في المؤتمرات الدولية.

وبعد ذلك اتجهت الأنظار إلى البعثات العلمية إلى الخارج للدراسة، وقال أن أول من فكر في هذا الأمر -حسب علمه- هو الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ثم تلميذه البار الأستاذ الفضيل الورتلاني، ولكن الحرب العالمية الثانية حالت دون تنفيذ هذا المشروع، وبعد نهايتها عاد النشاط إلى جمعية العلماء وبقية المنظمات والجمعيات، ومن جملتها الكشافة الإسلامية الجزائرية. وتمكنت جمعية العلماء من تأسيس ما يزيد عن مائة وخمسين مدرسة حرة لنشر الثقافة العربية و الإسلامية في الجزائر، و أوفدت رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى المشرق، فحقق المعجزة وأرسلت جمعية العلماء بعثات علمية منظمة إلى تونس ومصر و العراق، ثم إلى الكويت وسوريا لاحقاً.

## 1- حفلات التكريم في مصر:

تكلم الغسيري عن رحلته مع الأساتذة الطاهر التجيني ومحمود بن محمود، والتي دامت نصف شهر استجابة لدعوة الكشافة المصرية بمناسبة حفلات التحرير، ومرور سنة على الثورة المصرية، حيث قطعت المسافة بين الجزائر ومصر في أربعة أيام بلياليها، وخلال مرورها ذهاباً احتفى بها التونسيون و الليبيون، و لما بلغت مصر حظيت بالتكريم من طرف جمعيات الإخوان المسلمين، والشبان المسلمين، و الكشافة المصرية، والحكومة المصرية، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية، والدورة العامة للألعاب الرياضية العربية بالإسكندرية.

و من الشخصيات العربية البارزة مثل الرئيس المصري محمد نجيب، ووزير الإرشاد القومي، ومحمود لاشين، ومفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، و الأمير المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي، و عبد الرحمن

تلميذا نجح منهم 86.<sup>(14)</sup>

ثالثاً: رحلته إلى المشرق العربي في إطار النشاط الكشفي

ذكرنا سابقاً بأن الغسيري انخرط في صفوف كشافة الرجاء التابعة لجمعية ومدرسة التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة، و كان يشرف على تأطير النشاطات الكشافية لتلاميذ المدرسة المذكورة، وحدث أن تلقت الكشافة الإسلامية الجزائرية دعوة من نظيرتها المصرية، للمشاركة في احتفالات الذكرى الأولى لثورة الضباط الأحرار، فكان الغسيري أحد أفراد المجموعة الكشافية الجزائرية التي سافرت إلى القاهرة براً، انطلاقاً من قسنطينة يوم 21 جويلية 1953 مرورا بتونس وليبيا.

وبعد عودته من هذه الرحلة الكشافية الاستطلاعية كتب عنها الغسيري من سكيكدة سلسلة من المقالات نشرتها البصائر تحت عنوان: «عدت من الشرق» عددها تسعة عشر حلقة اطلعنا عليها كلها، كما كتب الدكتور عمر بن قينة عنها بشيء من التفصيل.<sup>(15)</sup> وأصدر نفس الكاتب كتاباً خاصاً عن هذه الرحلة نُشر ضمن كراسات المجلس الإسلامي الأعلى<sup>(16)</sup>

وقبل استعراض ما ورد في تلك الحلقات نشير أن الغسيري نشر قبلها في البصائر دائماً مقاليتين بعنوان: «مصر الشقيقة تحتفل بالكشافة الإسلامية الجزائرية» استهل الأولى بمقدمة بيّن فيها سعي الجزائريين في القلم ورغبتهم في الأسفار والتنقل طلباً للعلم، وكانوا هدفاً للمخاطر والأعتاب و أنها أسفار فردية محدودة الفائدة. وأنه في السنوات الأخيرة انتشرت المعارف واليقظة والوعي و تحركت الهمم إلى طلب المعالي، فبدأ الناس يرحلون إلى الشرق والغرب يضرّبون في الأرض يبتغون من فضل الله، مبشرين بنهوض الجزائر، وعودة الأمة الجزائرية إلى النضال من جديد،

بيوض، مسعود سعيد الجلالي، وعدد من طلبة الجزائر في بعثتي مصر و الكويت، ثم تكلم الغسيري عن وصول إبراهيمي إلى مكتب جمعية العلماء، و عن الحفلة التي أقامها على شرف الكشافة الجزائرية وحزب البيان وحضرتها الشخصيات المذكورة سابقا إضافة إلى علماء الجزائر المقيمين بمصر وهم الشيوخ الأساتذة:

سعيد الرحابي، إسماعيل جفر، أحمد المدني و أخوه علاوة ساحلي، وجمع غفير من الحجاج المغاربة، وبعد تناول الشاي ألقى إبراهيمي خطابا مرتجلا بليغا، ثم قام الأستاذ الورتلاني فخطب مدة ساعة كاملة ووجه نصائح لإخوانه في الكفاح وأعوانه في العمل وبعده خطب عبد المعز عبد الستار، وانتهى الحفل بنشيد:

«شعب الجزائر مسلم و إلى العروبة ينتسب».

ثم وصف حفلات التكريم التي نظمتها لهم جمعية الإخوان المسلمون والكشافة المصرية، والشبان المسلمون، والتي خطب فيها كثيرون، كالحاج أمين الحسيني، والإمام إبراهيمي، و الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، والشيخ أحمد الشرباصي والشاعر جبر. كما تكلم عن زيارة وفد الكشافة للرئيس محمد نجيب، والاستقبال الرائع الذي قابلهم به، و تبادل الهدايا الرمزية بينهما، ثم زيارة مقر الإذاعة المصرية وتسجيل الأناشيد والكلمات تحية لمصر من الجزائر، و إذاعتها في حينها.

وذكر حديث الثلاثاء الذي ألقاه الإمام إبراهيمي في المركز العام للإخوان المسلمين، بمناسبة الاحتفال الذي نظمه المركز للكشافة الإسلامية الجزائرية، لينتقل بعده إلى وصف مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة، من حيث الجمال و الفخامة، و حسن الموقع، في الدور السابع من عمارة جديدة يملكها السوري اللبائدي الدمشقي.

عزام، والدكتور محمد صلاح الدين، والدكتور محمد علي حسن رئيس الكشافة المصرية، و الشيخ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر، والأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين، و الأستاذ أحمد الشرباصي الكاتب العام للشبان المسلمين، و العقيد عبد الله التل، والأستاذ الفضيل الورتلاني وكييل جمعية العلماء في الشرقين العربي و الإسلامي، والأستاذ عبد الحكيم عابدين، و عبد المعز عبد الستار من جمعية الإخوان المسلمين، والدكتور يثف أبو اللمع ، والأستاذ عبد المنعم خلاف عضو مكتب الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.<sup>(17)</sup>

وذكر الغسيري أن الاحتفال الذي أقامته على شرفهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و جمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة، حضره ممثلون عن دول المغرب العربي وليبيا، ومصر و السودان، و اليمن و الحجاز و الكويت و العراق، و أفغانستان، و سوريا ولبنان وفلسطين، ثم بيّن كيف أن الإمام البشير إبراهيمي عندما سمع بوصول وفدي الكشافة الإسلامية وحزب البيان الجزائري، عاد من بيروت إلى القاهرة، و أن الشيخ الفضيل الورتلاني نظم له استقبالا رائعا في مطار القاهرة، شاركت فيه الكشافة الإسلامية الجزائرية والمصرية، والشخصيات العربية البارزة و ذكر منها:

الحاج أمين الحسيني و ابن أخته الشاعر منيف الحسيني، والعقيد عبد الله التل، والشيخ صبري عابدين و عبد المعز عبد الستار من الإخوان المسلمين، و حسن أبو السعود، وهاشم فهمي، والشاعر كامل كيلاي، والصحفي عبد الكريم محمد، والشاعر اليميني محمود الزيري، و عبد العزيز العلي المراقب العام لجمعية الإرشاد بالكويت.

ومن الجزائريين أحمد فرنسيس، فرحات عباس، محمد الهادي جمام، محمد العربي بوجملين، أحمد

الغرب، لم يذكر الغسيري لنا شيئا عن تشكيلة الوفد الكشفي ولا عن الطريق بين قسنطينة والحدود التونسية، وهل اعترضتهم عقبات من جانب السلطة الاستعمارية الفرنسية، خاصة عند مغادرة تراب الجزائر، ومن كان يراقب الحدود التونسية آنذاك، و ما هي مشاهداته في الطريق؟

كما أنه لم يذكر شيئا عن مشاهداته خلال احتياز الأراضي التونسية من الحدود الجزائرية إلى الحدود الليبية التي تعرضوا فيها إلى فحص دقيق، و بدأ يصف المناظر الطبيعية منذ دخوله الأراضي الليبية مع إبراز ما شيده الإيطاليون الغزاة من عمران، وقال أن هدفهم استرجاع سيادة روما على سواحل البحر الأبيض المتوسط كله، وضرب أمثلة عن بقايا أطلالهم في مدن طرابلس، مسراته و سرت. و يظهر من خلال ما ذكره عن شخصية موسوليني أنه مطلع على التاريخ السياسي العالمي، حيث تطرق إلى أبعاد الغزو الإيطالي لليبيا و المتمثلة في تخويف بريطانيا وفرنسا بعد أن افترست ألبانيا و إثيوبيا، وطمعت في دول عربية أخرى و من هنا استمد موسوليني عظمتة التي اعتبرها الغسيري غرورا لأن العظمة لله وحده.

لقد بين الغسيري موقفه من الاستعمار الإيطالي لليبيا من خلال رده على القائلين والمتوهمين، بأن إيطاليا حوّلت رمال ليبيا إلى جنات من زروع، وإلى مدن تضاهي في عمرانها مدن البحر الأبيض المتوسط الأخرى، و أجاب أولئك بقوله «لا يا قوم إن الاستعمار نار والنار لا يطيقها إنسان ولا جان». ثم ذكر فرار الليبيين من تلك النار التي أحرقتهم من خلال هجرتهم إلى الشرق، و أقطار شمال إفريقيا، حتى انتصر الحلفاء و طردوا الإيطاليين من ليبيا فعاد أهلها إليها - و إن مع الإنجليز - إذ الشر درجات.

لينتقل من الحديث عن التاريخ إلى وصف جمال مدينة طرابلس، والأثر السيئ لسياسة الاحتلال

وذكر أن أعمال المكتب المذكور - زيادة عن وظيفته الأساسية - وهي الإشراف على بعثات جمعية العلماء، تتمثل في كونه أنه أصبح ملتقى لكبراء وعلماء وأدباء الشرق، يجتمعون فيه للأخذ عن الإبراهيمي، في التاريخ واللغة وحقائق الإسلام، وقد طلبوا منه أن يعقد لهم ندوة أسبوعية، فضلا عن إقبال الحجاج المغاربة عليه، ثم تكلم عن نائب رئيس المكتب المذكور الشيخ الفضيل الورتلاني وعن المكانة التي تبوأها في نفوس الشرقيين.

وختم مقاله بتوجيه التحية باسم الكشافة الإسلامية الجزائرية، إلى كل من كان لهم عوناً على أداء مهمتهم في كل من مصر وليبيا وتونس والجزائر، وذكر حفلات التوديع التي أقامتها لهم في قسنطينة وتبسة وسطيف هيئتا العلماء والبيان، ونصائح الشيخين العربي التبسي ومحمد خير الدين.

ثم توجه بالخطاب إلى مصر الشقيقة وحياتها ناهضة وسائرة إلى الأمام ومنجدة مغيثة، وحيأ أبناءها الأوفياء للعروبة و الإسلام، و منهم شباب الكشافة على رأسهم عبد اللطيف الجمال ومحمود التوني، و علي محمد عبد الفتاح وعبد الغني عابدين و حسن الديب. ثم دعا الله أن يرعى أبرارها و يجتنبهم العثرات، و أن يأخذ بيدها وبيد أختها الجزائر، وودّع مصر ورفقاءه على أمل اللقاء. (18)

أما ما ورد في الحلقات المتسلسلة المذكورة سابقا بعنوان «عدت من الشرق» فيهما أن نقف معه فيها على ما ذكره عن التاريخ و عن الجزائر، في معرض مقارناته ومقارباته الكثيرة بين أوضاع وأحوال وظروف البلدان العربية التي مر بها، وبين الجزائر في إطار تطّعه إلى تحقيق أمل مسامرة الجزائر المحتلة لركب تلك الدول في التطور والرقي الطبيعي.

## 2- مشاهدات الغسيري في ليبيا:

في الحلقة الأولى و تحت عنوان: في طرابلس

بأن يقولوا أن أجدادهم «الغول» أو الغالين، و مما جلب اهتمامه في هذه المدينة الساحلية الصغيرة كثرة المساجد الكبرى وظرافة الإنسان المصري، مقارنة إياها مع حدة طبع الجزائري فقال: « وبدأنا نشعر بأن الطبع الجزائري الجاف يجب أن يذوب هنا قبل مغادرة المدينة حتى إذا انتهينا إلى القاهرة المعز كنا أناسا آخرين»<sup>(20)</sup>

### – ملاحظاته في القاهرة:

في الحلقة الثالثة وصف القاهرة وذكر كثرة عدد سكّانها وتنوع آثارها التاريخية، وتعدّد كلياتها ومعاهدها العلمية مما جعلها قبلة للعرب والمسلمين، زيادة على جماله الطبيعي، ثم وصف جامعاتها و المعاهد الدينية الأزهرية، ودور النشر والطباعة والمكتبات العلمية، ثم انتقل للحديث عن الحكومة المصرية، التي نعته بحكومة الشعب باعتبارها سخّرت كل قواها لخدمة المواطن، واستفادت من الكفاءات، ووصفها بحكومة الحق و العدالة التي سخّرت كل شيء للثقافة و التربية و التعليم، ومهدت للوحدة العربية والإسلامية. ثم ذكر المنظّمات الدينية و الاجتماعية و الرياضية والكشافية، التي تأخذ بيد المواطن وتهذّبه وتثقفه لينفع مجتمعه.<sup>(21)</sup>

وفي الحلقة الرابعة تحدّث الغسيري عن شباب مصر الممثل في هيئة جمعية الإخوان المسلمين، والشبان المسلمين وغيرها، ومدى تمسّكه بدينه وضرب مثلا بتأدية الصلاة في أماكن العمل العمومية من قبل كل الفئات، ثم تحدّث عن الحجّاج المغاربة الذين يصلّون صلاة الجمعة في الجامع الأزهر، ويستمعون إلى خطيب الإخوان المسلمين، الأستاذ عبد المعز عبد الستار، وأشدّ بالشباب المثقّف الإخواني من طلبة الجامعات و من المتخرّجين منها الذي يحافظ على الصلاة داعيا الجزائريين للإقتداء بهم.<sup>(22)</sup>

و في الحلقة الخامسة، تكلم الغسيري عن

الإيطالي على الشعب الليبي، من فقر ومرض وجهل، و كيف أصبح يعتمد في معيشتة على المساعدات الآتية من الدول الصديقة و الشقيقة، أو من هيئة الأمم المتحدة، وبيّن الخصال الحميدة للشعب الليبي من خلال مساعدته لقوافل الحجّاج، وأشدّ بالاستقبال الرائع الذي نظّمته الكشافة الليبية في طرابلس لنظيرتها الجزائرية، وكذلك بالإذاعة الليبية و على رأسها السيد علي مصطفى، وبرجال الحكومة في طرابلس وبرقة موجها الشكر لهم جميعا.

ثم ذكر مغادرة طرابلس عبر خليج سرت فبن غازي أين استقبلهم أهلها استقبالا حسنا، ووصف الجبل الأخضر الذي قارن جماله الطبيعي بجمال ساحل شرق الجزائر، ثم ذكر درنة فالحدود الليبية المصرية، وختتم مقاله تلك عن ليبيا بقوله: « سلام على ليبيا و على شبابها الناهض و على ولائها ما عدلوا في الحكم و ثاروا لأنفسهم ولبلادهم من العبودية و الجهل».<sup>(19)</sup>

### – مشاهداته في مصر :

في الحلقة الثانية وتحت عنوان «في كنانة الله مصر» تكلم الغسيري عن مدينة السلوم حيث مركز الحدود أين قدّموا أوراقهم التي تحمل عبارة: الكشافة الإسلامية الجزائرية لحضور حفلات التحرير بإمضاء قنصل مصر في مرسيليا، وذكر أن جماعة من الحجّاج المغاربة طلبت منهم التوسّط لدى حكومة مصر لتأذن لهم بالدخول، ثم غادروا السلوم مرورا على سيدي البراني، ومرسى مطروح، بعد أن ودّعوا إخوانا لهم ساءهم أن يكونوا على تلك الحال.

وفي الطريق شاهد آثار الحرب العالمية الثانية، من بقايا الدبابات و الطائرات المحطمة، ووصف مدينة مرسى مطروح الواقعة على بحر الروم أو العرب يقصد البحر الأبيض المتوسط، وبالمناسبة ذكر أن المستعمر الفرنسي كان يلقّن أبناء الجزائر

محمد المنصوري الغسيري يعتبر من الرواد الجزائريين الذين حملوا لواء ومشعل الإصلاح الاجتماعي التربوي، وساهموا بقوة وفعالية في نشر العلم ومحاربة الجهل، وتوعية الجزائريين بأنهم ينتمون إلى أمة حية، يمكنها أن تنهض من كبوتها وتحطم الأغلال وتخرج من دائرة الحصار الذي وضعها فيها المحتل الفرنسي، لتلتحق بركب الحضارة والرقي وتسترجع مكانتها الطبيعية التي فقدتها منذ أكثر من قرن، جنباً إلى جنب مع أخواتها وشقيقاتها العربية والإسلامية، مبيّنا الدور الذي اضطلعت به الجمعيات والمنظمات الجماهيرية غير الرسمية، في عملية التعبئة والتكوين والدفاع واليقظة، ومواجهة محتوى المخططات التدميرية وسموم المشاريع الاستعمارية، وعلى رأسها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نشأ وترى في أحضان مرشديها وشيوخها وأساتذتها وفي مقدّمتهم الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس، وساهم في نشر مبادئها وتحقيق أهداف مشروعها الحضاري والتنويري، من خلال المهام والمسؤوليات التي تولاها بكل جدارة وكفاءة وفعالية.

وكان خير سفير حر للجمعية المذكورة خاصة و للجزائر عامة، في كل من تونس وليبيا ومصر خلال رحلته إليها ضمن وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية، وإذا كان هذا الجزء الأول من الدراسة قد توقّفنا فيه عند محطة نشاطاته وأعماله في مصر، فإن الجزء الثاني منها سنستعرض فيه بقية تلك الأعمال والمشاهدات والانطباعات التي خرج بها الغسيري، عن المملكة العربية السعودية وبلاد الشام، ونشاطه النضالي خلال ثورة التحرير في المشرق، ثم تمثيله للجزائر المستقلة كسفير في المنطقة ذاتها، وما تركه من آثار في الجزائر وخارجها...

الجزائريين في مصر، وذكر أن عددهم كثير وصنّفهم بين من طال به العهد حتى تمصّر، ومن اغترب في سبيل طلب العلم، ومن لجأ إليها لجوءاً سياسياً، و من أوفدته بلاده ليمثّلها تمثيلاً مشرفاً في مجتمعاتها الدينية والاجتماعية و الثقافية. و كيف أن مصر رحّبت بهم و أكرمتهم ووظفتهم، وقدمت المنح لطلابهم فكانت مصر عزيزة في قلوب الجزائريين في مصر و في الجزائر، وذكر أمثلة عن الشخصيات الجزائرية التي شرفت مصر وعلى رأسهم الشيخ الفضيل الورتلاني و الأستاذ الصديق السعدي، والأستاذ أحمد بيوض، والأستاذ محمد العربي بوجملين، ومصطفى بشير، ومسعود سعيد الجلاي من الشباب، ومن الشيوخ أيضاً إسماعيل جفر، وأحمد المدني وأخوه سعيد الرحابي، علاوة ساحلي، أبو مدين الشافعي، وسائر طلاب البعثات العلمية.

و خصّ الإمام البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحديث أكثر تفصيلاً، باعتباره موفداً من قبل الجمعية لأداء رسالة العربية والإسلام في الشرق باسم الجزائر، ببيانه و علمه و صلاحه و تفانيه، إذ تّبّه الشرق إلى خطورة الحالة. مشبّهها الإبراهيمي بأسد بن الفرات وبالإمام الشافعي، وأن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة و هو رئيسه، أصبح بمثابة سفارة تغصّ دائماً بالزوار من رجال العلم و الأدب والسياسة. وبيّن بأن الرجل الذي مهّد السبيل لأداء مهمة الإمام الإبراهيمي في أكثر من موقع ووسط، هو الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي يمثّل النبل والكرامة والشّمم في أروع صورها، لكنه أكّد بأنه رغم جهود كل أولئك الجزائريين في مصر، لا تزال قضية الجزائر تحتاج إلى دعاية أكبر.

(23)

## استنتاجات الدراسة:

أظهرت لنا هذه الدراسة أن الشيخ الأستاذ



## الهوامش:

الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع القسنطيني، دار الأمة، الجزائر، 1999، ج1، ص 64. للمزيد عن هذه الجمعية والمدرسة راجع:

- حماني أحمد، شهداء علماء معهد بن باديس، الشيخ الصادق بن رابح حماني، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ط1، 2004، ص64.

- بن باديس عبد الحميد، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2005، ج4، ص52.

- الشهاب، ج2، مج7، (شوال 1349)، (مارس 1931).

- بن باديس عبد الحميد، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس...، مصدر سابق، ج6، ص144.

(4)- الشهاب، ج12، مج7، (شعبان 1353)، (نوفمبر 1934)، ص ص 554-551.

(5)- حماني أحمد، شهداء علماء معهد بن باديس...، مصدر سابق، ص64.

(6)- فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر...، مصدر سابق، الجزائر، 1999، ص 69. أنظر: خير الدين محمد، مذكرات، مصدر سابق، الجزائر 1985، ج1، ص 376.

(7)- فضلاء محمد الحسن، نفسه، ص 93.

(8)- فضلاء محمد الحسن، نفسه، ص ص 143-145.

(9)- محمد الحسن فضلاء، نفسه، ص ص 175، 176.

(10)- فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع الجزائري، دار الأمة، الجزائر، 1999، ج2، ص ص 14-33.

(1)- لاحظنا وجود اختلاف في تاريخ مولد الغسيري فهو حسب ناصر الدين سعيدوني (في كتابه منطلقات و آفاق... ص 227) سنة 1915، أما بالنسبة لعمر بن قينة (في كتابه أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة، ص 48) سنة 1912، بينما ذكر رابح خدوسي تاريخ 1919 (في كتابه موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين، ص 61) ولا ندري ما سبب هذا الاختلاف.

(2)- خير الدين محمد، مذكرات، مطبعة دحلب، الجزائر 1985، ج1، ص ص 92-95. وفي معرض حديثه عن المتخرجين من مدرسة الإخاء العسكرية ذكر الشيخ محمد بن خير الدين الأسماء التالية: محمد الغسيري، العربي بن مهدي (شهيد)، محمد بن مهدي، (شهيد)، حسني الشريف (شهيد)، محمد مراوي (محمي بياتنة)، خليفة العروسي (رائد في جيش التحرير، كاتب عام الولاية الخامسة التاريخية ووزير الاقتصاد في أول حكومة بعد الاستقلال)، محمد شيبوب العقبي وأخوه، خير الدين عبد السلام، المسعود الغسيري (ضابط، كاتب في الولاية الأولى التاريخية)، وغيرهم، و تداول على إدارة المدرسة المشايخ: محمد بن العابد الجلالي، علي مرحوم، علي المغربي، أحمد معاش، نفس المرجع، ص ص 162، 163.

(3)- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا و مفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000م، ط1، ص 227.

(\*)- مدرسة التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة: تعتبر أم مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لها أربع فروع في قسنطينة هي: فرع سيدي بومعزة، و فرع نهج أولاد إبراهيم، و فرع باردو، هذا الأخير هو الذي درّس فيه الغسيري و أصبح مديرا له رفقة علي مرحوم، ودرّس معه فيه كل من: أحمد الجموعي، الصالح الجموعي، صالح بوذراع، علي جاو، عبد الرحمن رمضان، حورية عربية. أنظر: محمد

- (11)- مقابلة خاصة أجريناها مع المرحوم الشيخ محمد الصالح رمضان في منزله بالقبة (الجزائر العاصمة)، بتاريخ 31/08/2005. أنظر كذلك موقع ملتقى أهل الحديث: [www.ahlalhdeth.cc/vb](http://www.ahlalhdeth.cc/vb)
- (12)- سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق...، مصدر سابق، ص229.
- (13)- الحمد محمد بن إبراهيم، تراجم، موقع دعوة الإسلام: [www.toislam.net](http://www.toislam.net)، ص ص 203-205.
- (14)- عمامرة رابح تركي، التعليم القومي العربي و الشخصية الجزائرية (1830-1962)، طبع وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ط3، ص 228.
- (15)- بن قينة عمر، أعلام وأعمال في الفكر والثقافة، طبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000م، ط1، ص ص 61-48.
- (16)- خلاصي فضيلة، «عمر بن قينة يسرد تفاصيل رحلة الغسيري إلى البلاد العربية»، جريدة أخبار اليوم الجزائرية بتاريخ 06/09/2008.
- (17)- الغسيري محمد المنصوري، «مصر الشقيقة تحتفل بالكشافة الإسلامية الجزائرية»، البصائر، ع 240، الجزائر، 1373هـ/ 1953م، ح1، ص 08، وقد نشرت في هذه الصفحة صورة للحفلة التي أقامها مكتب جمعية العلماء بالقاهرة تكريماً للكشافة الإسلامية الجزائرية ظهر فيها الأستاذ الفضيل الورتلاني واقفا يلقي خطابه، وعن يمينه الإمام الإبراهيمي ثم الحاج أمين الحسيني جالسين.
- (18)- الغسيري محمد المنصوري، «مصر الشقيقة تحتفل بالكشافة الإسلامية الجزائرية»، البصائر، ع 241، الجزائر، 1373هـ/ 1953م، ح2، ص 08، نشرت في هذه الصفحة كذلك صورة جماعية في الهواء الطلق ظهر فيها عشرات الأشخاص من أعضاء الكشافة الجزائرية والضيوف من جزائريين و مصريين، وغيرهم، من بينهم الإبراهيمي
- والورتلاني والحسيني ...
- (19)- الغسيري محمد المنصوري، «عدت من الشرق في طرابلس الغرب»، البصائر، ع 250، الجزائر، 1373هـ/ 1953م، ح1، ص 03.
- (20)- الغسيري محمد المنصوري، «عدت من الشرق في كنانة الله مصر»، البصائر، ع 252، الجزائر، 1373هـ/ 1954م، ح2، ص 2 و 3.
- (21)- الغسيري محمد المنصوري، «عدت من الشرق في كنانة الله مصر»، البصائر، ع 253، الجزائر، 1373هـ، 1954م، ح3، ص 5 و 6.
- (22)- الغسيري محمد المنصوري، «عدت من الشرق مظاهر التدين في الجزائر»، البصائر، ع 254، الجزائر، 1373هـ، 1954م، ح 4، ص 08.
- (23)- الغسيري محمد المنصوري، «عدت من الشرق الجزائريون في مصر»، البصائر، ع 256، الجزائر، 1373هـ، 1954م، ح 5، ص 03.